بسم الله الرحمن الرحيم

١٠١ ـ سورة القارعة

مكية وآيها إحدى عشرة.

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (ٱلْقَارِعَةُ)

[٢] (مَا ٱلْقَارِعَةُ)

[٣] (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ)

[٤] (يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ)

[٥] (وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ)

« ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ » قال أبو السعود: القرع هو الضرب بشدة واعتماد ، بحيث يحصل منه صوت شديد ، وهى القيامة . سميت بها لأنها تفزع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال . وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال: السماء بالانشقاق والانفطار ، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار ، والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف . وهى مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة) على أن (ما) الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ ، لا بالعكس . لأن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ . ولا ريب فى أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا ، هو كلمة (ما) لا (القارعة) أى أىُّ شىء عجيب هى فى الفخامة والفظاعة ؟ وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل . وقوله تعالى « وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ » تأكيد لهولها وفظاعتها ، ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها ، بحيث لا تكاد تناله دراية أحد ، حتى يدريك بها . أى : وأى شىء أعلمك ما شأن القارعة ؟ ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها ، أنجز ذلك بقوله تعالى « يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ » أى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث فى الكثرة

والانتشار ، والضعف والذلة والاضطراب ، والتطاير إلى الداعى ، كتطاير الفراش إلى النار . فـ (يوم) خبر محذوف بنى على الفتح ، لإضافته إلى الفعـــل ، أو هو منصوب . بإضمار (اذكر) . كأنه قيل ، بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها : اذكر يوم يكون الناس « وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ » أى كالصوف المندوف فى تفرق أجزائها وتطايرها فى الجو . ولما كان من المعلوم أن ذلك اليوم هو اليوم الذى تبتدئ فيه الحياة الآخرة ، وفيها تعرف مقادير الأعمال وما تستحقه من الجزاء ، رتب عليه قوله تعالى :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ)

[٧] (فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)

[٨] (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ)

[٩] (فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ)

[١٠] (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَه)

[١١] (نَارٌ حَامِيَةٌۢ)

« فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ » قال ابن[١] جرير : أى فأما من ثقلت موازين حسناته ، يعنى بالموازين الوزن . والعرب تقول (لك عنـدى درهم بميزان درهمك) ويقولون (دارى بميزان دارك ووزن دارك) يراد حذاء دارك . قال الشاعر[٢] :

قد كنتُ قبل لقائكم ذا مِرَّة عندى لكلِّ مخاصم ميزانُهُ

(١) انظر الصفحة رقم ٢٨٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبى الثانية) .

(٢) أنشده ثعلب فى اللسان (ج ١٣ ص ٤٤٧) طبعة بيروت .

يعنى بقوله (ميزانه) كلامه وما ينقض عليه حجته . وكان مجاهد يقول : ليس ميزان . إنما هو مثل ضرب . انتهى .

وعليه ، فالموازين جمع ميزان . وجوز كونه جمع موزون ، وهو العمل الذى له خطر ووزن عند الله تعالى . ومعنى قوله (فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ) أى فى عيشة قد رضيها فى الجنة . فـ (راضية) بمعنى مرضية ، على التجوز فى الكلمة نفسها أو فى إسنادها . أو استعارة مكنية وتخييلية « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُو » أى وزن حسناته « فَأُمُّهُو هَاوِيَةٌ » أى فمأواه ومسكنه الهاوية التى يهوى فيها على رأسه فى جهنم .

قال الشهاب : فسمى المأوى (أُمّا) على التشبيه تهكماً . لأن أم الولد مأواه ومقره . وفى (التأويلات) : قيل المراد أم رأسه . أى يلقى فى النار منكوساً على رأسه . انتهى . والأول هو الموافق لقوله « وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَاهِيَه * نَارٌ حَامِيَةٌ » فإنه تقرير لها بعد إبهامها ، والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتهويل . وأصل (مَاهِيَه) ماهى ، كناية عن الهاوية . فأدخل فى آخرها هاء السكت وقفاً . وتحذف وصلا . وقد أجيز إثباتها مع الوصل .